الفصل السابع
"انهيار"

بعد ذلك خرج هشام ملتقيًا بسامر وجمال، محاولًا عدم إظهار التشتّت الرهيب الذي يعجّ برأسه، اعتصر عينيه في محاولة ابتلاع آلام رأسه قائلًا:

- ها يا جماعة، شايفين إيه؟

اندفع سامر قائلًا:

- بصراحة يا فندم أنا شايف إن القضية كل مدَى بتوضَح زيّ الشمس، يعني الهدف تتكلّم من تليفون واحدة وتسِيب معاها جهاز التتبع، وزميلها يروح الشقة اللي كان المفروض نقبض فيها على الهدف التاني، ويطلع أصلًا له ملف عندنا آخر حاجة فيه اشتباه في تهريب سلاح، مش معقولة كل ده صدفة يا فندم.

طالعه هشام منصتًا إليه بعينين فاحصتين، مط شفتيه بدون تعبير، وانتقل بنظره إلى جمال الذي قال:

- وأنا موافق سامر في الرأي يا فندم، لو شدّينا على البتّ دي شوية هتعترف بكل حاجة.

وافقه سامر قائلًا: بالظبط يا فندم، اللين مش هينفع مع الأشكال دي.

ارتفع حاجب هشام الأيسر بتحذير، ثم أردف:

- هتعرفني أعمل إيه وماعملش إيه يا سيادة النقيب.

سامر: العفو يا فندم، بس..

هشام بعصبية:

- مفيش بس، أنا داخل أشوف البيه التاني، وياريت تتعلم إن مش كل حاجة بتيجي بالهمَجِيّة.

طأطأ سامر رأسه بخجل من قائدِه عن انفعاله، بينما دلف هشام إلى غرفة التحقيق ثانية حيث يقبع المشتبه به الثاني، كانت لخطوات هشام من خلفه وقع مخيف أثارَ الرجفة بقلبه، كاد يقف قبل أن يضع هشام كفّه على كتفه بقوة وأجلسه مكانه قائلًا:

- لا لا، خليك مستريّح.

هتف هشام بلهجة جامدة:

- انتَ صاحب مكان يا راجل، مش جديد عليك يعني.

جلس على المقعد المقابل ممسكًا بيده ملفًا، وأردف:

- أحمد حسن بدر مخلوف، طالب في كلية الألسن.

هز رأسه متابعًا:

- بقالك ٧ سنين في الكلية، ليه كده يا أحمد.. مابتذاكرش ولا إيه؟

ظل أحمد جامد الوجه محافظًا على صمته؛ فاستأنف هشام:

- ولّا ليك هدف تاني من وجودك في الكلية؟

في تلك اللحظة خرج أحمد عن صمته مستخبرًا:

- مش فاهم، حضرتك تقصد إيه؟

ضحك هشام بصوت مجلجل، ثم قال:

- عيب يا أحمد، قدّر ذكائي شوية أكتر من كده يا أخي، مش انتَ برضه بتسقط وتدَبْلِر عشان تستغل شباب الجامعة وتعملّهم غسيل مخ وتدخّلهم جماعات إرهابية ومنظمات سرية؟

انفعل أحمد بتلجلج:

- حضرتك بتقول إيه؟ لا طبعًا ما حصلش.

ارتفع حاجب هشام قائلًا:

- شكلك مش مدرك انتَ فين.. ماتعرفش إن هنا لو مش عايز تعترف بمزاجك هتعترف غصب عنك.

ارتسم على شفة أحمد ابتسامة هازئة قائلًا:

- يا باشا لو كان معاك دليل ماكانش زمانكوا ساكتين عليّا، وماكانش زمان حضرتك قاعد تحقّق معايا كده.

طالعه هشام بنظرة ثاقبة يسنّ أسنانه، يمرِّق من خلفها لسانه في حركة تحذيرية، ثم قال:

- مش بعد النهاردة يا ظريف، قولّي.. يا ترى إيه اللي ودّاك شقة المنيل امبارح الساعة ١ بالليل.

ظهر الارتباك على وجهه، ثم قال باستنكار:

- شقة إيه ومنيل إيه؟ أنا.. أنا كنت نايم في الوقت ده يا باشا.

هشام بعصبية:

- ولا ، مش عايز استهبال، انطق! انتَ اللي مُكلّف باستقبال كارولين في مصر.. صح؟ مين اللي انت شغال لحسابهم؟ ياللاه اتكلم.

أحمد بعناد:

- ماعنديش كلام أقوله.

أمسكه هشام من تلابيبه قابضًا على رقبته حتى كاد يختنق صارخًا:

- هتنطق ولا تحبّ تشوف جهنم بتاعتي؟

هز أحمد رأسه بعنف موافقًا؛ فتركه هشام، قحَّ حتى استعاد أنفاسه، وراح هشام يلقي عليه أسئلته:

- مين اللي مكلّفك بمرافقة كارولين، وإيه هي مهمّتها؟

- مش عارف.

- ولاه، هتستهبل تاني؟

- يا باشا والله ما أعرف، كل اللي حصل إن واحد ماعرفوش كلمني وقالّي بس استقبلها في المطار وأنفّذلها كل اللي تطلبه، وأأمّن لها مكان تقعد فيه، مقابل خمسين ألف يدخلوا حسابي أول ما تخرج من مصر.

- وكان فين المكان ده؟

- شقة المنيل، لكن هي سابتها في نفس اليوم، ولما كلمتها قالتلي مالَكش دعوة.. مش من مصلحتك تعرف مكاني.

أدرك هشام أنها انتقلت إلى أحد الفنادق المتطرفة بمدينة السادس من أكتوبر والذي صدرت منه المكالمة الهاتفية.

- امم، واللي كلمك ده جنسيته إيه؟ يعني أكيد عرفت من رقمه.

- لا يا فندم، هو كلمني من إيميل fake، وطبعًا مسحت الإيميلات أول بأول.

- طب على الأقل عرِفْت من لغته.

- هو كان بيكلمني عربي مكسّر كده، بس فيه كلمات أسباني قالها في نص الحوار.

حك هشام ذقنه بتفكير، ثم أردف: طب وجنّة؟

أحمد باستفهام: جنّة مين؟

اعتصر هشام عينيه بضيق قائلًا:

- يا أحمد خليك دوغري معايا كده، جنة طارق زميلتك في الجامعة.

أحمد بغباء: مالها يا باشا؟

هشام بعصبية: انتَ هتستعبط يا ابني، هي مش دي شريكتك اللي هرّبت كارولين من البوليس؟

أحمد باندهاش:

- أوباا!! هي كمان طلعت معاهم.. يا بنت اللعيبة، ولا يبان عليها، بصراحة يا باشا معرفش حاجة بخصوصها، ولا حتى كارولين من بعد ما سابت شقة المنيل.

هشام وقد بدأت الأفكار تعصف برأسه:

- طيب انتَ مشرفنا شوية.. أما نشوف أخرتك إيه.

نادى هشام العسكري من الخارج ليأخذ أحمد من أمامه، وقد كان.

وبعد خروجهما أمسك هشام رأسه بكلتا يديه مستندًا بمرفقيه على المنضدة، محاولًا كبح لجام آلام رأسه يفكر بداخله "يا ربي! ليه كل ما أفكّرها هتتحل بتتعقد أكتر؟ معقولة يكون توريطها ده كله صدفة؟ مين العبيط اللى يصدق كده بس! بس الحسنة الوحيدة إن الواد ده برّأ جنة، بس يا ترى هي بريئة فعلًا ولا الواد ده بيعمل كده عشان يخرجها لسبب تاني؟!"

قطع حديثه مع ذاته دخول جمال، جلس أمامه مستبشرًا:

- أظن كده الأمور وضحت يا فندم.

هشام:

- مفيش حاجة وضحت يا جمال، كارولين لسّه هربانة ومش عارفين هدفها، والمشتبه فيها مش عارفين نثبِت توريطها من عدمه، والأهبل ده كمان كل اللي قالُه مش هيفيدنا في اللي جاي... آه.

أمسك هشام برأسه متأوّهًا؛ فقد أطاح بها الصداع؛ فمد له جمال علبة خضراء تحوي أقراصًا مسكنة قائلًا:

- اتفضل يا هشام بيه، الدوا ده مفعوله سريع وبيخلّص على الصداع بسرعة.

تناوله منه هشام، وابتلعه ملحقًا به بجرعة من المياه، ثم أعاده إلى جمال ثانية؛ فأردف:

- لا خليه معاك، أنا معايا علبة تانية.

أومأ هشام شاكرًا، ثم نهض وذهب إلى مكتبه، فتحه فوجَدَ جنة تقفز من مكانها متجهة نحوه بلهفة متساءلة:

- سيادة الرائد، عملت إيه، حققت معاه؟

لم يُجِدِ الدواء مفعوله بعد؛ فطالعها بعينين مثقلتين قائلًا بوجه متصلب:

- نعم؟! مين إدّاكِي الحق تسألي في اللي مالكيش فيه؟

تركها وذهب متجهًا إلى مكتبه، وقبع على مقعده دون الالتفات إليها، بينما ظلّت متسمرة مكانها تتفحصه بنظرات العجب والدهشة تحدث نفسها: "ماله ده؟! لا مجنون رسمي، شوية يتعامل بحنية وشوية يقلب ويطلّع دخان من ودانه، يا رب خرّجني من اللي أنا فيه ده على خير".

مضت قدمًا، ومثلَت أمام مكتبه قائلة:

- ازّاي يعني ماليش فيه! أنا من حقي أعرف هو كان معاهم ولا لأ وقال عني إيه.

نهض هشام بهيئته المهيبة، ولف حول المكتب حتى صار قبالتها ينظر إليها من الأعلى ويديه بجيبيه، ثم قال بلهجة باردة:

- ومحموقة عليه قوي كده ليه وعايزة تطمّني عليه، هو اا.. يهمك في حاجة؟!

تقدّمَت نحوه خطوة باستشاطة التهبَت لها وجنتيها، ورفعت سبابتها لا إراديًا قائلة:

- لو سمحت.. أنا بحذرك تطّاول معايا بالأسلوب ده، أنا..

باغتها ممسكًا بأصبعها بين قبضته حتى كاد يكسره؛ فصارت تتأوّه، بينما قال:

- حسّك عينك ترفعي صباعك في وشي تاني، ثانيًا تحذري مين؟ انتِ مجنونة؟! وإيه لو سمَحْت أنا بحذرك دي كمان، لا ياختي ماسمحلكيش.

صرخت من بين تأوهاتها:

- آه، صباعي هيتكسر، سيبني.

أفلت يدها من قبضته؛ فصارت تفرك أصبعها بألم صائحة بقلة حيلة:

- على فكرة بقا ربنا مش هيسامحك.

باغتَتْهُ ضحكة لم يستطع كبتها، لكنه أرغم نفسه على ذلك محدّجًا إياها بنظرة حادة، ثم نادى على العسكري ليأخذها؛ فصاحت بخوف:

- إيه ده انتَ هترجّعني الحجز تاني؟ طب ليه؟ أكيد أحمد قال لكم إني ماليش دعوة، ليه هفضل هنا؟

رمقها هشام بنظرة ثاقبة متسائلًا: وعرفتي منين بقى إنه قال كده؟

جنة بانهيار وبكاء:

- لأني فعلًا ماليش دعوة ومعرفش أي حاجة، أرجوك بقى أنا تعبت والله، محدش حاسِس بيّا، أنا بموت كل لحظة من الرعب وأنا شايفة نفسي

بلبس قضايا عمري ما سمعت عنها غير في الأفلام، ومكان ضلمة ومقفول، وعسكري بيعاملني كأني مجرمة، وظابط يدّي نفسه الحق يخوّفني عشان أعترف بحاجة ماعرفهاش، وأهلي اللي مايعرفوش عني حاجة وهموت وأطّمّن عليهم، لو حصلّهم حاجة مش هسامحك... وانت.. وانت وعدتّني إنك هتخرجني من ه..نا..

حينذاك بدأ صوتها يتخافت ولا يُسمَع منها كلمات ذات معنى، وراح بصرها يزوغ حتى سقطت مغشيًا عليها.

لحق بها هشام قبل أن يرتطِم رأسها بطرف الطاولة خلفها؛ فارتدّ رأسها إلى صدره، حملها بلهفة ووضعها على الأريكة، ربَتَ على وجهها عدة مرات برفق لكن دون استجابة؛ فنهض وأحضر كأسًا من المياه وقطَرَ القليل منه لكن عبثًا؛ فأخذ بيدَيْها بين كفيه يدلّكهُما مناديًا بصوت جهوري: "مؤمن! يا مؤمن!".

دخل مؤمن فزعًا:

- خير يا هشام بيه؟
- اتصل بالإسعاف بسرعة.